جماليات الانزياح الدلالي في شعر جواد غلوم

الدكتورة شرافت كريمي (الكاتبة المسؤولة)

الأستاذة المشاركة في قسم اللغة العربية وآدابها -جامعة كردستان إيران- سنندج

Sh.karimi@uok.ac.ir

فيان عبد الرحمن أحمد

مرحلة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها - جامعة كردستان-إيران -سنندج

vevo198949@gmail.com

صكر احمد خلف الجبوري

مرحلة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها - جامعة كردستان-إيران- سنندج

sa0015538@gmail.com

ناصر رجب ناصر

مرحلة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها - جامعة كردستان-إيران- سنندج

naserrjb1994@gmail.com

Abstract

Stylistics of Semantic Displacement in the Poetry of Jawad Ghallom

Displacement, deviation, or divergence is the process of deviating from the idealized pattern of speech. It involves diverging from the norms with a specific purpose in mind. Displacement is considered one of the significant phenomena that distinguish literary style from other styles. This phenomenon is one of the elements that set literary language apart, giving it brilliance and distinctiveness, making it different from ordinary language. Displacement is a stylistic phenomenon that constitutes artistic and literary language. It allows us to understand the unique nature of literary style, endowing the text with aesthetic value and indicating various rhetorical dimensions. This research aims to study the semantic displacement in Ghulam's poetry, which includes metaphors, similes, and metonymy. The research adopts a descriptive-analytical approach, enabling the reader to understand how the poet frequently uses semantic displacement to create poetic imagery. The study's results indicate the frequent use of semantic displacement and deviation from normal standards, contributing to breaking the familiar context and enriching the poetic context.

Keywords: Jawad Ghallom, Modern Poetry, Poetic Displacement, Semantics

الملخص

الانزياحية أو الانحراف أو العدول هو عملية الخروج عن نسق الكلام المألوف أو هو عملية الخروج عن المعايير بهدف معين يقصده المتكلم. تُعتبر الانزياحية من الظواهر المهمة التي تميز الأسلوب الأدبي عن غيره من الأساليب الأخرى ومن العناصر التي تميز اللغة الأدبية وتمنحها التوهج والخصوصية مما يجعلها لغة مختلفة عن اللغة العادية. الانزياحية تعتبر من الظواهر الأسلوبية والتي تكوِّن اللغة الفنية الأدبية وتمكننا من التعرف على الطبيعة الخاصة بالأسلوب الأدبي وتمنح النص قيمة جمالية وتشير إلى العديد من الأبعاد البلاغية. يهدف هذا البحث إلى دراسة انزياحية الدلالية في شعر غلوم والتي تتضمن الكناية والاستعارة والمجاز على أساس منهج وصفي تحليلي ويتيح للقارئ فهم كيفية استخدام الشاعر للانزياحية الدلالية بشكل متكرر للإبداع في الصورة الشعرية. نتائج الدراسة تشير إلى استخدام الانزياحية الدلالية والخروج عن المعايير العادية في كثير من الأحيان، مما يسهم في خرق السياق المألوف وإثراء السياق الشعري.**الكلمات الرئيسة:** جواد غلوم، الشعر الحديث، الانزياح الشعري، الدلالة

المقدمة

تخرّج جواد غلوم؛ الشاعر العراقي الحديث من كلية الآداب بجامعة بغداد في اللغة العربية وآدابها لعام ١٩٧٤–١٩٧٥ وعمل في التدريس والصحافة في العام١٩٩٠ ونشر مداخلات وبحوث في الصحف والمجلات العربية. سافر إلى خارج العراق بسبب الاضطهاد وظروف الحصار وعمل خلالها أستاذا في الأدب العربي في ليبيا. عاد إلى العراق سنة ٢٠٠٤ ونشر في العديد من الصحف الورقية والإلكترونية. لديه أربع مجموعات شعرية مطبوعة وكتابان بعنوان: مذكرات مثقف عراقي أوان الحصار وقطاف من شجرتَي الأدب والفن؛ والأخير تشمل مقالات في النقد الأدبي. صدرت له ثلاث مجموعات شعريّة: حبال لأرجوحة متعبة، حكاية الميمك الحزين وحبّ امتناع لامتناع.

تحمل أشعار غلوم العديد من السمات المميزة التي تبرزها الانزياحية الدلالية. تستند هذه السمات إلى تغيير المعاني ومفاهيم الكلمات والصور اللفظية بطرق تجعل الشعر يتفرد بالثراء والجاذبية. من خلال تقنيات الاستعارة والتشبيه والكناية يخلق الشاعر عوالم شعرية متعددة الأبعاد تمتزج فيها الواقعية بالخيال، والمألوف بالمفاجآت.

تمثل الانزياح الدلالي من الأساليب الأدبية الأكثر إبداعا وتعقيدا في العمل الأدبي. يعتبر غلوم من الشعراء الذين اتسموا باستخدام هذه الظاهرة الأدبية بشكل بارز في أعمالهم. نظرا لمجموعاته الشعرية والتأثير البارز الذي أحدث الانزياح الدلالي في شعره، يُعد دراسة الانزياح الدلالي في شعر غلوم أمرا هاما لفهم شعره وتحليل عناصره

الجمالية.يعتبر مصطلح الانزياح من أكثر المصطلحات المنتشرة في الدراسة الأسلوبية المعاصرة، وهو من التقنيات الفنية التي يقوم الشعراء باستخدامها للقيام بالتعبير عن التجربة الشعرية الخاصة بهم، كما أنه يعتبر إضافة يتميز بها الخطاب الشعري وله دور جمالي يساعد على جذب انتباه القارئ وهذا يؤدي إلى التأثير عليه وامتاعه وشعوره باللذة والتذوق، والقيام بتوصيل الرسالة التي يسعى الشاعر لتوصيلها والتي لا تخص عصر معين، كما أنها تعتبر من القضايا اللغوية التي ترتبط بالمعنى واللفظ وتندرج في البحث الخاص بالأسلوبية، كما أنها تعتبر من أهم الأركان التي تعتمد عليها الأسلوبية وفي أصل اللغة.

هذا المقال سيقدم نظرة عامة على استخدام الانزياح الدلالي في شعر جواد غلوم، مع التركيز على أمثلة محددة تظهر كيفية تأثير هذه الظاهرة في تحول المعاني والإشارات داخل أشعاره. سيتعمق المقال في تحليل هذه الاستراتيجيات اللغوية الدلالية وكيفية تأثيرها في خلق الصور الشعرية وفرص جديدة لفهم الواقع والتعبير عنه بأساليب فنية مميزة. من خلال استكشاف هذه الجوانب الأدبية واللغوية لشعر غلوم، سنكتشف كيف يمكن للانزياح الدلالي أن يثري الأدب ويخلق تجارب قراءة مثيرة تستحق الاهتمام والتفكير.

مسألة البحث

إن ظاهرة الانزياح التي تعد من أبرز الظواهر الأسلوبية في النقد الحديث موجودة في تراثنا النقدي البلاغي الكلاسيكي تحت مسميات مختلفة كالعدول والانحراف، ولهذا فإنها تعد من نقاط الالتقاء بين الأسلوبية الحديثة والبلاغة العربية. ومن خلال هذه الظاهرة تتجلى قدرة المبدع على التعامل المرن مع اللغة من خلال كسر الأنظمة والدلالات الوضعية المتعارف عليها متجاوزا من خلال ذلك المألوف بشكل يضفي جمالية خاصة على اللغة؛ الشيء الذي ينتج عنه اختلاف الدلالة وتنوعها من قارئ إلى آخر. لذا في هذا البحث نتطرق لعدة نواحي في الانزياح لدى الشاعر جواد غلوم.

فرضية البحث وسؤالاته وأهدافه

إن ظاهرة الانزياح في شعر جواد غلوم تتبلور بشكل مطرد؛ كما قام الشاعر بتوظيف لغة غير مألوفة في تجميل الصورة الشعرية والابداع الفني في الشعر. ففي هذه الدراسة ندرس السؤالين الآتيين:

١. ما هو أهم الانزياحات الدلالية التي تم استخدامها في شعر جواد غلوم؟
٢. ما هي النماذج الشعرية التي تدل على نجاح الشاعر غلوم في توظيف ظاهرة الانزياحية الدلالية في أشعاره؟

للوصول إلى الهدفين التاليين:

١. معرفة أهم الانزياحات الدلالية المستخدمة في شعر الشاعر غلوم.
٢. دراسة النماذج التي حققها الشاعر في توظيف ظاهرة الانزياحية الدلالية في شعره؟

منهج البحث

واتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث أنها اعتمد على تحليل ومعالجة العديد من النماذج الخاصة بالانزياح البياني وبما في ذلك التشبيه والاستعارة والكناية في شعر جواد غلوم.

الدراسات السابقة

بما أن الانزياحية من الدراسات الأسلوبية ومن الظواهر الفنية التي لابد منها في دراسة العناصر الجمالية في النص الشعري قام الباحثون والناقدون بالعديد من الملاحظات والاستنتاجات التحليلية والنقدية على أساسها منها: عبد الله خضر محمد (٢٠١٣) في كتابه: أسلوبية الانزياح في شعر المعلقات، درس هذه الظاهرة بأنواعها: الدلالي، التركيبي والإيقاعي في شعر أصحاب المعلقات بجوانبها الفنية الجمالية. غنية تومى (٢٠٢١) في

مقالها: انزياح المصاحبات اللفظية في شعر محمد حسين آل ياسين من خلال ديوانه أساطير الأولين، درست الانزياح اللفظي في مجموعات مختارة من شعر محمد حسين آل ياسن من خلال التراكيب اللفظية وترى أن الشاعر خرج من الإطار المألوف لكن الاتساق المعجمي الذي نشأ عن توظيف هذه الظاهرة جَعلَ شعرَه حسَنَ التصوير والإبداع.كتب رائد وليد جرادات (٢٠١٣) مقاله: بنية الصورة الفنية في النص الشعري الحديث (الحر)؛ جواد غلوم نموذجا ودرس الصور الفنية الجمالية في منتخبات من شعر غلوم وفق الأساسيات الجمالية في الشعر الحر.علي أكبر محسني ورضا كياني (٢٠١٣) في مقالهما: الانزياح الكتابي في الشعر العربي المعاصر (دراسة ونقد)، قالا: أن الشعراء المحدثين في كثير من الأحيان يجمعون بين الكتابة اللغوية والظواهر البصيرية في النسيج الشعري ويريدون بهذا الطريق أن يزيدوا من دلالات النص بصريا ولكنه توظيف الظواهر البصرية في كثير من الأحيان لا يضفي أبعادا جمالية ودلالية في جسد القصيدة بل على النقيض من ذلك، قد يقود الشعر للابتذال والسطحية.مروة رغدي وآخرون (٢٠١٥) في بحثهم: الانزياح الاستبدالي في قصيدتي البرعي: هو الكرم وعتاب، قالوا بأنه تمثّل الاستعارة عماد الانزياح الاستبدالي وأهمّ مظاهره وذلك لما لها من تحقيق الشعرية في شعر عبد الرحيم البرعي اليماني.أسدي وملا إبراهيمي (١٣٩٦) في مقالهما: دراسة الانزياح في شعر محمود درويش تركيزا على الأعمال الشعرية الكاملة، يقولان أن درويش أكثر من استخدام التشبيه والاستعارة ثم استفاد من المفردات العتيقة إلى جانب التراكيب الإضافية الجديدة والمفارقة هادفاً تحقيق الإنزياح في شعره.

نوال جاسم محمد (٢٠٢٠) في بحثها: لانزياح الاستبدالي في شعر سعاد الصباح (ديوان إليك يا ولدي) أنموذجا، قالت أن الشاعرة سعاد الصباح بانزياحاتها الاستبدالية المعتمدة على التشبيه والاستعارة في ديوانها: إليك يا ولدي تبدع قصائد شعرية تتمتع بقيمة فنية عالية واستطاعت الانزياحات الاستبدالية في الديوان أن تدفع المتلقي إلى التأمل والتفكر العميق؛ ليدرك مقاصد الشاعرة والانزياحات أسهمت في إثارة الدهشة والصدمة لدى المتلقي عن طريق كسرها لأفق التوقع لديه.

كتبت وهيبة فوغالي (٢٠١٢) رسالتها المعنونة: الانزياح في شعر سميح القاسم "قصيدة عجائب قانا الجديدة" أنموذجا دراسة أسلوبية، ورصدت الخروقات الجائزة والانحرافات المستساغة– وربما المطلوبة– التي يسلكها الشاعر لخلق أسلوب خاص به يمكن من معرفة أبعاده الانفعالية تجاه التجارب المتنوعة سواء أوقع هذا الانحراف في الصورة أم في الجملة أم في الكلمة أم في الصوت أم في الموسيقى أم في الدلالة.

ودنيا بوجلال وآخرون (٢٠١٩) في بحثهم: ظاهرة االنزياح في شعر محمود درويش قصيدة "حبيبتي تنهض من نومها" أنموذجا –دراسة أسلوبية–، درسوا الأساليب الانزياحية في شعر محمود درويش.

الإطار النظري للبحث

الانزياحية قسم من جماليات الصورة الشعرية تركز على أساس كيفية استخدام الشاعر الصور والميتافور لإيصال معان معقدة ومتعددة وإثارة مشاعر القارئ وأفكاره وفهم كيفية استخدام الشعراء للرموز للتعبير عن أفكار معينة أو لإضافة العمق للشعر وكيفية استخدام اللغة الشعرية لخلق تأثيرات معينة في الشعر، مثل الاختلافات في الأصوات والإيقاع والتكرار. إن السياقات التاريخية والثقافية للشعر وللشاعر ذات أهمية كبيرة في تفسير الانزياحية والمفاهيم الشعرية. قد تستفاد من نظريات ومناهج نقدية مشهورة مثل النقد الهيكلي والنقد الثقافي والنقد النفسي في فهم الشعر، كما يمكن أن يكون دور للتقنيات وأدوات النقد الشعري مثل القافية والوزن والقافيات لدرس الانزياحية في الشعر. قامت الدراسات الأدبية المعاصرة والدراسات النقدية بالاهتمام بظاهرة الانزياحية باعتبارها من أهم القضايا الأساسية في تشكيل الجماليات في النصوص الأدبية، كما يمكن وصفها على أنها حدثا لغويا

خاص بصياغة الكلام وتشكيله، كما يمكن تعريف الانزياح على أنه عملية الخروج عن نسق الكلام المألوف والمثالي، أو الخروج عن المعايير الأساسية التي يقصدها المتكلم، أو جاء عفو الخاطر، ولكنه يجب ان يقوم بخدمة النص بدرجات مختلفة بصورة أو بأخرى. ولذلك يمكننا القول أن الانزياح هو القيام باختراق المثالية الخاصة باللغة والقيام بالتجرؤ عليها في الأداء الإبداعي، وهذا يؤدي إلى انتهاك الصياغة التي يقوم عليها النسق المثالي والمألوف، او العدول مستوى اللغة الدلالي والصوتي عما يكون عليه هذا النسق (رشيد الددة، ٢٠٠٩: ١٥). قيل أن الانزياحية تعني "البعد" فقد قام العديد من المترجمين والباحثين بترجمتها على ذلك، ولكن لا تقوى كلمة البعد على تحمل المعنى الفني التي تتحمله الانزياحية. فالانزياح هو استعمال المبدع للغة مفردات وتراكيبا وصورا استعمالا يخرج بها عمّا هو المعتاد والمألوف إذ يؤدّي ما ينبغي له أن يتّصف به من تفرّد وإبداع وقوّة التأثير (محمد ويس، ٢٠٠٥: ٧).

كما يعتبر مصطلح الانزياحية من أهم المصطلحات المنتشرة في الدراسة الأسلوبية المعاصرة، وقد كان جان كوهين أول من قام بالحديث عن الانزياح بشكل مستفيض في حديثه عن لغة الشعر في مجال الدراسة البلاغية والشعرية، كما قام باستلام المفهوم على أنه أحد الظواهر الفردية الخاصة بأحد المبدعين أو أحد الكتاب (بو خاتم ٢٠٠٤: ١٧٠) كما أن بوادر الانزياحية قد تم استخدامها في الفكر الغربي من قبل انبثاق الدراسات الأسلوبية، فعندما ظهرت هذه الدراسات زاد المفهوم عمقا ورسوخا، كما يعتبر مصطلح الانزياحية مصطلح أسلوبي حديث، لكن جزء من تعريف الانزياح قديم يرجع في أصله إلى أرسطو وإلى ما تلاه من نقد وبلاغة، وأرسطو ماز بين لغة مألوفة عادية وأخرى غير عادية وغير مألوفة كما أنه رأى أن اللغة التي تنحو إلى الإغراب وتقوم بتفادي العبارات المنتشرة هي اللغة الأدبية (محمد ويس، ٢٠٠٥: ٨٢). ويعتبر عبد السلام المسدي؛ أستاذ اللسانيات في الجامعة التونسية أول ما من قام باستخدام هذا المصطلح في كتابه «الأسلوب والأسلوبية» بالعربية ولكن المفهوم الخاص بهذا المصطلح ليس بجديد في الأدب العربي، وجاء في بعض الكتب البلاغية والنقدية القديمة التي تدل على هذا المفهوم، كما قام النقاد القدماء بفهم هذه الظاهرة الأسلوبية فقال ابن جنى: «إنّما يقع المجاز ويعدل إليه الحقيقة لمعان ثلاثة، وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه. فإنَّ عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة» (ابن جني، ٢: ٤٤٣).

أقسام الانزياحية

جاء في لسان العرب «نزَح»: نزح الشيء ينزح نزحاً ونزوحاً: بَعُدَ (ابن منظور، ٢٠٠٥: ٢٣١) كما جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة العديد من المعاني المختلفة لكلمة «انزاح»؛ منها ما اختلف مع المعنى الذي جاء في لسان العرب لابن المنظور فقام بإضافة معنى أخر له، ومنها ما اشترك فيها معه، حيث إنهم اشتركوا في التعبير عن المعنى في "البئر الفارغة التي نفد ماؤها" واشتركوا أيضا في معنى "البعد" ولكن احتوى على معنى إضافي وهو "الانتقال" حيث إن الانزياحية تعني عملية القيام بالانتقال من مكان إلى مكان أخر، وفي اللغة تعني الانتقال من معنى إلى معنى أخر، حيث قام قدماء العرب باستخدام كلمة الانتقال بدل من كلمة الانزياحية في المجال اللغوي، وأيضا لا يمكن أن ننفي قيامهم باستخدام مطلح الانزياح ولكن بشكل نادر.

الانزياحية اصطلاحا هو «استعمال المبدع للغة مفردات وتراكيب وصوراً؛ استعمالاً يخرج بها عمّا هو معتاد ومألوف إذ يودي ما ينبغي له أن يتصف به من تفرّد وإبداع وقوة جذب وأسر» (محمد ويس، ٢٠٠٥: ٤٩).

وهناك نوعان رئيسان من الانزياح:

١- الانزياح الدلالي أو الاستبدالي أو البياني

الانزياحي الدلالي هو مصطلح يُستخدم في دراسة اللغة والسيميولوجيا للإشارة إلى التغيرات في معاني الكلمات أو العبارات على أساس السياق الذي يُستخدم فيه. هذا التغير في المعنى يمكن أن يكون نتيجة للسياق الزمني أو الثقافي أو الاجتماعي الذي تمر به اللغة؛ على سبيل المثال: كلمة "مفتاح" قد تستخدم في سياقات مختلفة مع معاني مختلفة في سياق اللغة؛ "مفتاح" يمكن أن يرتبط بفتح الأقفال وفي سياق الموسيقى، "مفتاح" يمكن أن يشير إلى النغمة الرئيسية للأغنية. وفي سياق التكنولوجيا، "مفتاح" يمكن أن يكون زراً على لوحة المفاتيح. هذه أمثلة على كيفية تغير المعنى الدلالي لنفس الكلمة بناءً على السياق.

الانزياح الدلالي يشير إلى أهمية السياق في فهم المعاني اللغوية، وكيف يمكن لنفس الكلمة أو العبارة أن تكون مفهومة بمعانٍ متعددة تبعاً للسياق الذي يُستخدم فيه. هذا المفهوم مهم في دراسة اللغة الأدبية وهذا النوع من الانزياحية يعني الذي يقع في الجوهر الخاص بالكلمة، ولا يتم النظر إلى الموضوعية في الكناية أو التشبيه أو الاستعارة أو المجاز المرسل، وهو يقوم بدراسة ميزان التباين الذي يوجد بين المشبه والمشبه به الذي يترتب عليه الخروج عن المألوف، وهذا يعطي النص قدر كبير من الانجذاب والروعة، حيث أنه كلما ابتعد طرفين التشبيه والتقيا في نقطة مختلفة لا يألفها الذهن، كلما ظهر قدر كبير من الانزياحية والارتقاء بمستوى النص الدلالي، حيث أنه يعلو شيئا فشيئا على درجة الصفر النصية (محمد ويس، ٢٠٠٥: ١٢٠). فأهم محاور هذا النوع يشمل: الانزياحية الاستعارية والانزياحية الكنائية والانزياحية المجازية.

٢- الانزياح اللفظي أو التركيبي

الانزياحي اللفظي يعتمد على تغيير البنية اللفظية للكلمات داخل النص الشعري بناء أو شكلا أو صوتا بهدف تحقيق أثر معين أو تعزيز التوجيه السيميائي أو الجمالي للنص. يُعرف الانزياح اللفظي أحيانا بالتداول اللفظي أو التركيبي وتعتمد على تغيير معين في اللفظ بناء على المفهوم الذي يحمله الكلمة للتعبير عن أفكار أو مشاعر بطريقة إبداعية جديدة وتستخدم هذه التقنية لإثراء الشعر وإضافة جاذبية للنص. الانزياح اللفظي يتم عن طريق الشد أو التكرار في بداية الكلمات أو الجملات أو توظيف الرمز الصوتي المعين للأشارة إلى مفاهيم أو أحداث معينة؛ على سبيل المثال: استخدام كلمات تحتوي على "صاد" و"سين" لوصف همس الرياح. فالانزياح اللفظي يساعد على تحسين السمعية والجمالية للشعر ويجعل النصوص أكثر إثراءً وجاذبيةً.

وقد قام العديد من النقاد بذكر هذا النوع من الانزياحية في الكتب النقدية الخاصة بهم؛ صلاح فضل يقول: «الانحرافات التّركيبيّة تتصل بالسّلسلة السّياقية الخطية للإشارات اللغويّة، عندما تخرج على قواعد النظم والتركيب مثل الاختلاف في ترتيب الكلمات» (فضل، ١٩٩٨: ٢١١) وهذا النوع من الانزياحية يحدث في عملية الربط بين العديد من الدول بعضها ببعض في العبارة الواحدة أو في الفقرة والتركيب.

وقد قام ابن ذريل بتقسيم الانزياح إلى:

١. الانزياح السكوني: الذي لصور البلاغة ويتبدى كبعد عن التّعبير المشترك؛

٢. الانزياح الحركي: والذي يتبدى كقفزة إلى الانقطاع في الزمان؛

٣. الانزياح السياقي: الذي للأسلوبيات، ويتبدى كشذوذ دلالية، والتي تعتمد على تصادم السياقات (ابن ذريل، ١٩٨٩: ٢٧).

وقد قام الباحثون الآخرون بتقسيم الانزياح إلى ثمانية أقسام كما يلي: اللّغوي، والنّحوي، والصّوتي، والكتابي، والدّلالي، واللهجي، والأسلوبي، والزّمني لكنه يمكن درج هذه الأنواع الجزئية ضمن النوعين الأساسيين: الدلالي واللفظي.

الانزياح الدلالي في شعر جواد غلوم

إنَّ الصورة من أهم مكونات النّسق الشعري الجميل وهي رافد يمدّ التّجربة الشّعرية بطاقات تعبيرية قادرة على شحن السياقات بمجموعة مدهشة من الأشكال التّصويرية. يقول الناقد جان كوهين: «إنّ الشعر انزياح عن معيار هو قانون اللغة، فكل صورة تخرق قاعدة من قواعد اللغة أو مبدأ من مبادئها» (كوهين، ١٩٨٦: ٣١). ويقوم الشاعر باستخدام في الأداء الشعري الخاص به طريقتين أساسيتين: الطريقة الأولى هي القيام بالتعبير بشكل مباشر والثانية هي التّعبير المتخيل أو الصورة الشعرية. والتّعبير هو لغة الشّاعر التّلقائية؛ أمّا الصورة الشّعرية فهي التعبير المتخيل الذي لا يصور المعطيات الحسيّة بشكل مجرد بل يتعداها إلى تصوير انفعالاته ومشاعره الداخلية، وقد يكون مصدر هذا الانفعال من داخل الإنسان ذاته أو من خلال تفاعله مع الناس والأحداث. والصورة في الشّعر لا تُخلق لذاتها وإنما تنبع من التّجربة، وهي ليست مجرد شكل مختزن في الذاكرة أو نمط علاقات لغوية تقليدية؛ إنّما هي إحساس عميق يتجسّد في رموز ذات نسق خاص، وهي ضرورة شعريّة كونها أثر خلّفه الإحساس (سنداوي، ١٩٩٣: ٣٦– ٣٨).

أما بالنسبة للمعاجم الأدبية التي قامت بتعريف الصورة فهي لا تتجاوز الاستعارة، والكناية والتشبيه والتشخيص والتجسيد والمجاز كما قام بعض النقاد بربطها ببناء القصيدة الفني وفي هذا المجال ندفع إلى دراسة انزياحية الصورة في شعر الشاعر متمثلة في: الانزياحية الاستعارية، الانزياحية الكنائية والانزياحية المجازية.

الانزياحية الاستعارية

الانزياحية الاستعارية تشير إلى تقنية تعتمد على استخدام الاستعارات أو الميتافور لتحقيق تأثيرات معينة أو لتعزيز المعنى في النص الشعري. في هذه التقنية يتم استخدام مفهوم أو كائن أو مفهوم معين لتصوير أو تجسيد مفهوم آخر بشكل غير حرفي. عندما يتم استخدام الانزياحية الاستعارية يتعين على القارئ أن يفهم أن الكلمات أو العبارات المستخدمة ليست مأخوذة بمعناها الحرفي ولكنها تُستخدم لنقل فكرة أو مشهد معين بشكل أكثر تعبيرا. هذا يخلق تأثيرات تجريدية وإبداعية تجعل الشعر أعمق وأكثر إثارة ويسهم في إثراء الشعر وإضافة أبعاد جديدة للمعنى، وهي واحدة من العناصر الأساسية في الشعر والأدب.

إن أهل النقد والأدب اهتموا بالاستعارة اهتماما كبيرا. فالانزياحية الاستعارية حظيت بالدراسة والعناية منذ أرسطو وحيث إن الاستعارة تعني في جوهرها عملية خرق اللغة العادية، فهي عملية توسيع المعنى وتفتيته، فالاستعارة هي عملية الخلق الجديد في اللغة، ولغة داخل لغة، وتقيم العلاقات الجديدة التي تتم بين الكلمات، والتي ينتج عنها إذابة عناصر الواقع بهدف إعادة تركيبها من جديد، وهذا التركيب يمنحها تجانسا كانت تفتقده. ولذلك فهي تبث حياة جديدة داخل الحياة الرتيبة، وبالتالي فهي تضيق وجود جديد، أي تزيد الوجود الذي نعرفه، والذي يكون ناتج عن علاقة الكلمات بواسطة التشكيلات اللغوية عن طريق التمثيل الجديد له (أبو العدوس، ١٩٩٧: ١٥١) ومن استعارات الشاعر في قصيدته أمل كذوب:

وهل يلتقي الأحباب لو مرنوا الصّرما
إذا كان سوط الجزم رخوا بطبعهِ
يكون سلاح اليأس "لو" عجزت "لوما"
خروف امتناعٍ ضعفها في هوانها
فلم نمتلك عزما ولم نتخذ علما
شعوبٌ تباري الريح في جريانها

(غلوم، ١٩٩٧، حجرٌ نبيلٌ وآخر من سجيل: ٣٢ – ٣٣).

يتضح في هذا النص سؤال الشاعر عن شخصيات متعددة في نفسه هل سيصلون أم طابت وحلت لهم القطيعة به بمفردة الصرما التي تعني قطع الحبل وهي من قطع الوصل، وتظهر استعارته بمفردة سوط الجزم وهي دلالة على تدني وضياع ما كان بالأمس مقارنة بحاله حينها، كما ظهرت الإمكانيات الخاصة بالاستعارة في قدرتها على القيام بتشخيص المعاني التي تكون مجردة، حيث أنها تريك الجماد وكأنه كائن حي ينطق، وتمنحه الحياة، وتجعله يتنفس ويتحرك ويشعر، كما يعتبر التشخيص أحد سمات الوجدانين والفنانين في جميع العصور (القاضي، ١٩٨٢: ٤٣٤). وأيضا من استعاراته الشعرية في قصيدته أحائين:

حين يجيء الحزن بعكازيه المنخورين

تهلل العناكب فرحاً

تغادر زواياها العالية

وتفرش شباكها

لاصطياد الأماني العريضة

(غلوم، ١٩٧٧، حكاية الميمكِ الحزين: ١٢)

أراد الشاعر بهذا النص نهاية العمر حين يتقوس الظهر وتكون الحاجة إلى الاتكاء على عكازة وعندها لاتقوى على شيء وتذهب القوى الشبابية، فهذه أستعارة بحد ذاتها تصور تصويرا حيا للمشاهد وهذه من قدرات الشاعر لقدرته بجعل البلاغة تتقلب بين أصابعه ويفرشها حروفا قلمه، وتعني الاستعارة في الجملة أن يكون لها أصل في اللغة، وان يكون معروفا ويدل على الشواهد ويدل أيضا على أنه تم تخصيصه له عندما وضع، ثم يقوم الشعار او الغير الشاعر باستخدامه في غير ذلك الأصل ويقوم بنقله إليه نقلا غير لازم وبالتالي يكون كالعارية (الجرجاني: ٢٠٠٩: ٢٧).

في الواقع، «إنّ المجازات المعتمدة في التعبير هي التي تقوم بخرق نظام اللغة محدثة بذلك، تشويقاً في المعنى المعياري؛ وإذا كان غلوم لا يقول شيئاً آخر غير ما يريد، فإنّ الكلمات تقول في الاستعارات شيئاً آخر لا تدل عليه عادة، وربّما إنّ استعمال الاستعارة المركبة من شأنه أن يسهم في ذهنيّة الصورة وفي تجريديتها البعيدة، وهذا ما نلحظه في «يمطر نجم»، وفي «شفتي يتفتق بيدر»؛ فالاستعارة الأولى تتجلى في إسناد النّجم إلى المطر، وأمّا الثانيّة فتتجلى في إسناد البيدر إلى الأفق ولكن أين؟ ليس في الأرض، وإنّما في الشفة، وهنا يكمن عنصر المفاجئة والدهشة في ذهن المتلقي، وتحتاج إلى عقل تجريدي كي يستوعبها» (جرادات، ٢٠١٣: ٥٦٠).

نلاحظ أن الشاعر رسم صورة غريبة خرق بها اللغة وقواعدها باستخدام الاستعارة المكنية في بعض قصائده؛ هذا الخرق أغطى العبارة أدبيتها أو شعريتها؛ بالعبارة الأخرى، حيث تتخلى اللغة عن دلالاتها الأصليّة لتتحول إلى لغة شعريّة تحفزّ ذهن القارئ وتثيره وقد أخرج الشاعر كلمات كثيرة من دائرتها المعنويّة إلى دائرة ماديّة وحسيّة وتشبيهها بشيء مادي وهذا الشيء يكون إمّا إنسانا وإمّا حيوانا ونرى في هذا التّشبيه من الدهشة والغرابة ما يكسبه مسحة جماليّة. هذا التّشبيه يدلّ على مقدرتها الإبداعيّة في خلق صورة جديدة.

الانزياحية الكنائية

الانزياحية الكنائية تعتمد على استبدال كلمة أو مفهوم بآخر على أساس الارتباط أو الارتباط المعتاد بينهما. بدلاً من استخدام المفهوم الفعلي أو الاسم المراد وصفه أو تمثيله، تستخدم الانزياحية الكنائية مفهوما ذو صلة به للإشارة إلى المفهوم الأصلي. هذا الاستبدال يعتمد على العلاقات المعتادة بين الكلمات أو المفاهيم في اللغة أو

الثقافة. الانزياحية الكنائية تضيف عمقا وإثراء للغة الشعرية والأدبية وتساعد على إيصال المعاني بشكل أكثر تعبيرا وجاذبية. تستخدم هذه التقنية على نطاق واسع في الشعر والأدب لإضافة طابع جمالي مفهومي جديد إلى النصوص.

إن الصّورة الكنائيّة في أي عمل أدبيّ تقوم على الإيحاء؛ لأنّ هناك أولاً المعنى أو الدّلالة المباشرة الحقيقية ثم يصل القارئ أو السّامع إلى معنى المعنى أيّ الدّلالة المتصلة وهي الأعمق والأبعد غوراً فيما يتصل بسياق التّجربة الشّعورية والموقف (الداية،١٩٩٠: ١٤١). ومن الاستعارة التي وظفها الشاعر في تجربته لتضيف جمال آخر إلى النص في قصيدته، النوم في الوحل:

أهلي صاروا لي أعداء ولم أُنصر
أذيال، أناب للأنجاس من الأغرابِ
من الثعل أمكر
يحكون بسيرة سيّدنا الفاروقِ
يُشيدون بِعفّة حيدر
يتغنون ولو كذباً في سيفِ عليٍّ في خيبر
قولٌ لا فعلٌ، هذيانٌ يتكرر

(غلوم، ١٩٨٦، اشتهاء واستحياء: ١٦)

يتوضح في هذه المقطوعة الشعرية ان الشعرية تعمد بعدم ذكر ما أراده لأنه لم يريد بلفظة أهله كما أراد بل أراد بها الطبقة الحاكمة لبلده، ونجده أيضا جاء بشخصيات تاريخية تعزيزاً لنصه الشعري وبها كناية للغاية الشعرية، وأيضا من كنايته الشعرية في قصيدته تساؤلات مريرةٌ من لسانٍ سؤول:

مَن علم قاربي الخشبي أن يطفو على بحر من الأوجاع
أنا المشتهي أن أغوص غائباً، راحلاً بعيداً
أينما حللتُ وحيثما أزفت
غارقاً في أعماقه غافياً ميتاً بين دُرره؟

(نفس المصدر: ٣١)

يتضح أن الشاعر أراد بقاربه هو قلبه لكن لم يصرح به مباشرة لأن القلب أحيانا يتأثر بأبسط الأشياء؛ أي يمشي كما يريد. لهذا شبَّبه بالقارب على الماء فإن واجهته ليس كما يريد، فقد عبّر الشّاعر بوساطة أسلوب الانزياحية الكنائيّة عن كل ما يعتري كوامنها الدّاخلية في لعبها بالألفاظ وانزياحها من التّصريح إلى التّلميح، وهذا ما جمَّل نصوصه وأضفى عليها قيم دلاليّة أسلوبيّة سطت على فكر قارئها.

الانزياحية المجازية

الانزياحية المجازية تقنية أدبية ولغوية تُستخدم لتشبيه شيء بآخر بناءً على وجود تشابه أو صفة مشتركة بينهما دون استخدام كلمات نحو: مثل أو الكاف للتشبيه. في الانزياحية المجازية تُستخدم الكلمات بشكل غير حرفي لتوصيل معانٍ مختلفة عن المعنى الحرفي للكلمة؛ على سبيل المثال: في جملة "قلبها من حجر"، يُستخدم المفهوم "قلبها" للإشارة إلى حالة شخص ما أو مشاعره بدون الحاجة إلى استخدام كلمة "مثل" أو "ك". يُفهم المعنى من خلال التشبيه بين "قلبها" و "حجر"؛ مما يعني أن قلب الشخص هو قاسي ولا يشعر بالمشاعر بنفس الطريقة

التي يشعر بها البشر. الانزياحية المجازية تعزز اللغة وتثري الشعر والأدب بالمعاني والصور البصرية والتعبيرات المبتكرة. إنها تساهم في إثراء تجربة القارئ وجعل النصوص أكثر إثارة وتعبيراً.

لهذا الأسلوب المجازي أهمية إذ يعبّر به الشّاعر عن أفكاره ورؤاه التي تترك أثرها في القارئ عندما يتقصى بنى النصّ للوصول إلى المعنى الحقيقي. وأما قيمته فتكمن في ولادة المعنى الثاني الذي يُفهم من اللفظ الأصلي، عندما يدخل على بنيته الانزياح. من المجازات التي تناولها الشاعر في شعره في قصيدته تحليقٌ إلى الأسفل:

مرّ عمري الأعرج بثقالهِ وخفافهِ

حملته عبئا وحملني وهنا

لم يركب دابةً تصهل ولا عربة مرخّصة

امتهنُ التحليق في الأعالي

أبسط جناحيّ لأضمَ بيضة الجمال

(غلوم، ١٩٨٦، حجرٌ نبيلٌ وآخر من سجيل: ١٧)

يتراءى أسلوب المجاز في قوله "مرّ عمري" أي مر سنون عمري فالعمر يلتفّ في سنوات عابرة ثم ينقضي.. كما رسم الشاعر صوراً موحية من خلال توظيف أسلوب الطباق بين "الثقال والخفاف" للتعبير عن سنيّ الألم والأمل التي عاشها، ولكن واضح للعيان طغيان الألم على الأمل، أذ كانت عبئا ثقيلا عليه ولم تتحامل على حمله وانتشاله من واقعه المؤلم، فطغيان تلك السنون أشد وأكبر من يسرها وتحملها. وأيضا من مجازته الشعرية، في قصيدته بين الصعب والأصعب:

يا حبيبي هزيع عمري قريبٌ

ورؤى الموت في عيوني أقرب

كيف لي أن أعيد وهج وقاري

هيبتي بينها تضيع وتسلب.

(نفس المصدر: ٢٠)

يكمن المجاز في قوله "رؤى الموت" إذ أن الموت لا يرى ولكن يُحس بدنو الأجل أحيانا من مرض ومشقة وأحيانا يكون فجأة دون سابق إنذار، دائما نجد للمجاز خاصية في الشعر ومكانه عالية لأن المجاز من مقومات الشعر وتجعل إقبال واسع من أذهان المتلقي، كما في قول الشاعر:

عمي القلب والعيون وعقلي

عجبٌ سحرها وفي النفس أعجب

مرةً ترتدي حريرا وقزّاً

مرةً في لبوس وحشٍ ومخلب

حيّرت كلّ خاطري وطباعي

ذهبت بي مسالكا أي مذهب.

(نفس المصدر: ٢٢)

إذ حصل المجاز بلفظة (عمي) والعمى الحقيقي خاص بالعيون بالبصر ولكن الشاعر وظّفه مرتين: الأول على سبيل الحقيقة وهو عمي العيون، والثاني على المجاز من خلال (عمي) القلب والعقل، فسحرها وجمالها لا تسعه الحقيقة وحدها بل تعداها إلى المجاز ليسع ذلك الجمال الذي اتّصفت به محبوبته.

النتائج

فقد اعتمد جواد غلوم في نصه الشعري على الوصف المباشر والتشبيه والبيان التقليدي في رسم صوره الفنية واستخدم لرسم صوره الفنية التشبيهات والاستعارات المتنوعة. ونرى أن هذه الاستعارات أعطت الطبيعة خصائص الإنسان وجعلتها ناطقة ومتحركة، وجعله يحاورها، ويعبر عن شكواه، ويعبر عن مشاعره، وجسدت هذه الظاهرة الجمالية الأمور المعنوية ومنحتها خصائص الأشياء المادية، وذلك لتقريب الصورة وتوضيحها في ذهن المتلقي، وكان ذلك كثيرا في شعر غلوم.تضفي الانزياحات الشعرية على شعر الشاعر غلوم، وخاصة الاستعارات والكنايات، بُعدا فنيا بارزا. يحاول ببراعة في قدرته الفنية أن ينقل تجربته إلى المتلقي بدقة وترتبط بين الواقع والخيال في تصويرها. للشاعر قدرة فنية جلية في رسم الصورة الشعرية والصور البلاغية التي تترك أثرها في نفس القارئ.يدور التشخيص في شعر الشاعر غلوم حول مفاهيم كثيرة من الحياة. يتناول الشاعر هذه المفاهيم في قصائده، يتناولها مرة بشكوى ومرة يطلب مساعدة، فتعبر هذه المفاهيم عن حالته. التشخيص لدى الشاعر يكتسي ألوان الحزن والحيرة والقلق مما أعد للشاعر مجالا لإجراء حوارات بينه وبين تلك المفاهيم.

المصادر والمآخذ

ابن جني، أبو عثمان النحوي. (لا تا). الخصائص، تحقيق محمد علي نجار. القاهرة: المكتبة العلمية.

ابن منظور الأندلسي، محمد بن مكرم. لسان العرب. القاهرة: دار المعارف.

أبو العدوس، يوسف. (١٩٩٧). فاعلية الاستعارة في النص الشعري النظرية نموذجا. النقد الأدبي في منعطف القرن، ج٣، مداخل تحليل النص الأدبي، أعمال المؤتمر الأول للنقد الأدبي القاهرة.

جرادات، رائد وليد. (٢٠١٣). بنية الصورة الفنية في النص الشعري الحديث (الحر)؛ جواد غلوم نموذجا. مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٩، العدد ٣، صص: ٥٥٥-٥٦٩.

جرجاني، عبد القاهر. (٢٠٠٩). أسرار البلاغة، تحقيق محمد فاضلي. بيروت: المكتبة العصرية.

الداية، فائز. (١٩٩٠). جماليات الأسلوب؛ الصورة الفنية في الأدب العربي وتحليلها. دمشق: دار الفكر.

رشيد الددة، عباس. (٢٠٠٩). الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

سنداوي، خالد. (١٩٩٣). الصورة الشعرية عند فدوي طوقان. القاهرة: دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر.

صادق ديوب، سامية. (٢٠٠٧). رسالة ماجستير "الجوانب الإنسانية والظواهر الفنية في شعر جواد غلوم". سوريا، جامعة البعث.

غلوم جواد . (١٩٨٦). الأعمال الشعرية الكاملة ١و٢. بيروت: دار العودة.

غلوم جواد . (١٩٩٧). ديوان جواد غلوم، المجلد الأول والثاني. بيروت: دار العودة.

غلوم، جواد . (١٩٧٧). ديوان يغير ألوانه البحر. بغداد: منشورات وزارة الإعلام.

فضل، صلاح. (١٩٩٨). علم الأسلوب ومبادئه وإجراءاته. القاهرة: دار الشروق.

القاضي، النعمان. (١٩٨٢). أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيلي الجمالي. القاهرة، دار الثقافة.

محمد ويس، أحمد. (٢٠٠٥). الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

نظري، علي ووليئي، يونس. ظاهرة الانزياح في شعر أدونيس. دراسات الأدب المعاصر. تهران: الجامعة الحرة. السنة الخامسة، ربيع ١٣٩٢، العدد السابع عشر، صص: ٨٥-١٠٦.